

معرفة عظمة رب العالمين - وفضل معرفته سبحانه وتعالى

إخوة الإيمان:

اتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ حَقَّ التَّقْوَى، وَرَاقِبُوهُ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: خَيْرُ مَا أَكْتَسَبْتَهُ النَّفْسُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَأَعْظَمُ مَا حَصَلَتْهُ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْمَاتِ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، فَمَعْرِفَةُ اللَّهِ أَصْلُ الْعُلُومِ وَأَوَّلُهَا، وَأَشْرَفُ الْمَعَارِفِ وَأَعْلَاهَا وَأَجْلَاهَا،

قَالَ تَعَالَى: فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ، مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَعِبَادَتُهُ هِيَ الْغَايَةُ مِنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، بِمَعْرِفَتِهِ سُبْحَانَهُ تَنْشُرُ الضُّرُورَ، وَتَأْتِسُ النَّفْسُ، وَيَتَحَقَّقُ الْيَقِينُ، وَتَعْمُرُ الْقُلُوبَ، وَتَمْتَلِئُ مَحَبَّةً وَاجْلَالًا لِزَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ بِجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَحَبَّهُ وَعَظَّمَهُ وَامْتَثَلَ أَمْرَهُ وَاجْتَنَبَ نَهْيَهُ لَا مَحَالَةَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ أَيْ: إِنَّمَا يَخْشَاهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِهِ سُبْحَانَهُ، لِأَنَّهُ كَلِمًا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ لِلْعَظِيمِ الْقَدِيرِ الْعَلِيمِ الْمُوصُوفِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمَنْعُوتِ بِالْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى كَلِمًا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ بِهِ أُمَّ وَالْعِلْمُ بِهِ أَكْمَلُ، وَكَانَتْ الْحَشْيَةُ لَهُ أَعْظَمَ وَآكْرَ،

وَقَدْ كَانَ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ أَعْرَفَ النَّاسِ بِرَبِّهِمْ، وَأَكْثَرَهُمْ تَعْظِيمًا لَهُ، فَهَذَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَلِّمُهَا فِي قَوْمِهِ: قَالَ أَقْرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَئْتِينِي وَالَّذِي يُبَيِّنُ لِي شَيْئًا لِي بِحُجَّتِي وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ، وَهَذَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعْرِفُ قَوْمَهُ بِرَبِّهِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى تَعْظِيمِهِ فَقَالَ: مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا وَاللَّهُ أَنْتَبَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ تَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِحْرَاجًا وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا،

وَهَذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعْرِفُ فِرْعَوْنَ بِرَبِّهِ حِينَ سَأَلَهُ عَنْهُ: قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ، قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى؟ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حُلُقَهُ ثُمَّ هَدَى، وَبَيَّنَّا صِلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ مَنْ عَرَفَ بِاللَّهِ، فَلَمْ يَأْتِ تَفْصِيلَ لِبَيَانِ كَلِمَاتِ الرَّبِّ أَعْظَمَ وَمَا جَاءَ بِهِ، وَالْقُرْآنُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ شَاهِدٌ بِذَلِكَ،

إخوة الإسلام:

لِرَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْعَظْمَةُ وَالْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، فَهُوَ الْعَظِيمُ فِي ذَاتِهِ، الْعَظِيمُ فِي أَسْمَائِهِ، الْعَظِيمُ فِي صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، الْعَظِيمُ فِي شَرَعِهِ وَخَلْقِهِ، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، هُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَوَالِيكُهُ، الْقَوِيُّ الْمَتِينُ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ: هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُحِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، رَبُّ لَا يَتَّامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النَّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ، هَكَذَا أَخْبَرَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عِبَادَ اللَّهِ: كَيْفَ لَا يُعَظَّمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَكُلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا الْكَوْنِ يَدْعُو إِلَى تَعْظِيمِهِ وَاجْلَالِهِ،

قد خلق هذا الكون كله من العدم بأمره وإرادته وحكمته وتدييره، وكل شيء يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَكَلِمَةٍ: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالنَّوَابُ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكثيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، كَيْفَ لَا يُعَظَّمُ وَهُوَ الْمَعْبُودُ بِحَقِّ وَلَا مَعْبُودَ بِحَقِّ سِوَاهُ، وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ؟ كَيْفَ لَا يُعَظَّمُ، وَمِنْ عَظَمَتِهِ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ فِي يَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَحَبَّةٍ خَرْدَلٍ فِي يَدِ أَحَدِنَا؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَطْوِي اللَّهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ كَيْفَ لَا يُعَظَّمُ وَالْكَرْسِيُّ خَلْقٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَقَدْ وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، بَلْ إِنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي الْكَرْسِيِّ كَحَلْقَةِ أَلْقَيْثٍ فِي أَرْضِ فَلَاةٍ؟ كَيْفَ لَا يُعَظَّمُ وَقَدْ أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَنْتَبِطَّ؟ مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلِكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةٌ سَبْعَ مِائَةٍ عَامٍ، فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ عَظْمَةٌ بَعْضُ مَخْلُوقَاتِهِ فَكَيْفَ بِعَظْمَةِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ سُبْحَانَهُ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ؟

إخوة الإسلام:

الله جلّ في علاه أكبر وأجل وأعظم من كل شيء، يمتنع عليه التقصُّ سبحانه، لا يُدرِكُ العبادُ كنهَ صفاته، ولا يُحيطونَ بشيءٍ من علمه إلا بما شاء، وهم أقلُّ من أن يتألوا من عزّته وكبريائه، فهو سبحانه الذي لا تنفعه طاعة من أطاع، ولا تُضره معصيته من عصى، ومع كمالِ عظمة الله تعالى، إلا أنّ كثيراً من الناس ما قدروا الله حقَّ قدره، ولا شكروه حقَّ شكره، ولا عظموه حقَّ تعظيمه، يقول الله تعالى لرسوله عنهم: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... [الزمر] فكلما ازدادت معرفة المؤمن بعظمة الله وأسراره وعجائبه و غرائبه يمتلئ قلبه إيماناً به وخشية وإجلالاً لله عز وجل، وإلى هذه الحقيقة يشير قوله تعالى: إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى رءوسهم يتوكلون... [الأنفال]

خطبة الجمعة ليوم 25 أكتوبر 2024 م